الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

مصطلحات طائفية بين التداول والمعالجة

د. تيسير عبد الجبار الآلوسي
أكاديمي ومحلّل سياسي

مصطلحات تنحتها أقلام الهجمة الصفراء على وطن الخضرة والنماء وسرعان ما تتداولها أقلام مبتدئة أو نصف متعلمة لتشكّل البوق الرسمي للجهات المعنية بإثارة الطائفية وأمراضها في عراق اليوم وما يرسم لغده. المصطلحات مفردة في منهج قولبة الناس ووضعهم في أسرى عقلية محددة بذهنية طائفية مريضة.. مستغلة العواطف والانفعالات والمظالم لتمضي هي في الاتجاه الذي تريد..

كيف تتحكم القوى الطائفية بالشارع؟ طبعا لديها منافذ عديدة أولها السلاح والميليشيا الحزبية التي ترهب الشارع وتتصدى لتسييره كما تشاء، وعبر إرهاب الناس بجيوش العصابات الميليشياوية تخلق الانصياع لأوامر الزعامات الطائفية المتسيدة. ولكن المنفذ الآخر لا يكمن في العنف بل في إعلام مخصوص ينثر الغشاوات وأساليب الغش والاختفاء والتضليل بما يعزز من وجود أوسع جمهور حول هذه الزعامة الطائفية أو تلك...

ومن الطبيعي سيكون خطاب إعلام الطائفية مستندا لتصورات استغلالية تضليلية من نمط:

١, خلط الأوراق بما يجعل أي فضح أو تعرية للزعامة الطائفية ولمخططاتها المضرة بمسيرة الناس والوطن هو هجوم على أبناء الطائفة. فترى إعلام الزعامات الحزبية الطائفية يردد باستمرار أن فلانا ثابت في مهاجمته الطائفة الفلانية والحقيقة ليست إلا مهاجمة فلان هذا للزعامة التي تدعي الحرص على مصالح تلك الطائفة وخدم تلك الزعامات وخطابهم يؤكد ويكرر زعمه بكون زيد ضد الشيعة أو عمرو ضد السنة؟! وطبعا تقوم هذه القراءة على تصوير مهاجمة الفرد الزعيم أو القيادة لحزب أو تيار تعني مهاجمة جمهور ذلك التيار بل أبناء الطائفة المعنية وهذا أمر غير صحيح بالمرة إلا عند خطاب الطائفيين وأمراض مناهجهم الموبوءة. إذ لا يمكن أن نلخص الناس ورؤاهم ونختزلهم في رأي فرد أو مجموعة أفراد؛ فحصانة الرأي ديموقراطيته أي استناده إلى أصوات عامة الناس وإشراك أبعد وأبسط عضو في الفئة أو الطبقة أو المجموعة الدينية أو القومية. ولا يعوض رأي الفرد عن رأي الجماعة ومن حق كل فرد في المجموعة أن يبدي تصوره وأن يحترم تعبيره عن رأيه وأن ينتقد من جرى تكليفه بمهمة الزعامة من دون أن يستلب حقوقه..

٢, الإرهاب الفكري والنفسي بتخوين كل من يتجرأ على إعلاء صوت النقد بمنطق الديموقراطية وآلياتها.. أو تكفيره إن كان من فئة أو مجموعة دينية أو قومية أخرى... وهكذا يستخدم الطائفي مصطلح التكفير أو مصطلح التخوين والعمالة ليكون سلاحاً ماضياً خطراً في منع أي فرد تسوّل له نفسه بالنقد الموضوعي! وبدلا من أن يكون مصطلح عميل خائن بالنسبة إلى الموقف من الوطن والناس يصبح المصطلح مستعملا بالنسبة للموقف من الزعيم أو القيادة الطائفية المريضة.

٣, العيش على مصطلحات مصنعة وبهذا يجري تمرير أمور عديدة خطرة تحت هذه الاستخدامات الاصطلاحية في خطاب مرضى الطائفية وأننا لابد من أن ننقسم على وفق هذا التفكير الطائفي بين طوائف عنصرية نقية الدم والنسب وعلى نسبة الـ ٣٥٪ من العوائل العراقية التي تتركب من طرفي الشيعي والسني أن تنشطر ويجري تطليق الأزواج وتصفية الأبناء من تلك العوائل المزدوجة الانتماء المذهبي.. أما نسبة ٣٠٪ الثانية من العراقيين التي تنتسب إلى أسر أو عشائر مختلطة فيجري تقسيمها على الأرض ومنع لقائها وهكذا يفرضون قسرا أن يكون ثلثا الشعب العراقي بأمرة الفكر الطائفي التقسيمي المريض!!

إنني أدعو الكتاب الموضوعيين والعلمانيين الذين يحترمون العقل وآفاق بصيرته وآليات عمله ومنطق حكمه أن ينهضوا برصد المقالات السائدة اليوم ويخرجوا لنا بإحصاء العبارات والمصطلحات الطائفية التي ينبغي ضبطها متلبسة بجريمتها ومحاكمتها ومن يقف وراءها أمام العقل الشعبي السديد لنسمو بنور العقل الإنساني الرشيد... وذلك بعض العلاج ومنطلقه الأول.

علي الكيمياوي محكوماً.. لعل في القصاص حياة للعراق

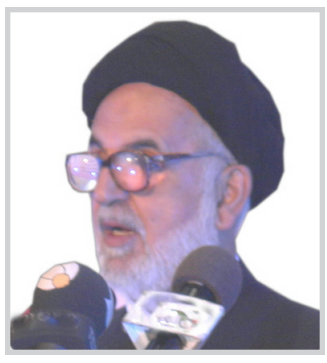

هاني فحص
كاتب ورجل دين - لبنان

انطلقت مآذن المساجد في كردستان العراق بالتكبير والتهليل –هم مسلمون إذاً!!! ابتهاجاً بصدور أحكام الإعدام في بغداد على علي حسن المجيد، الكيمياوي، لا لأنه له إسهامات علمية في حقل الكيمياء، بل لأنه استخدم الكيمياء الحية في قتل الحياة والأحياء. وهو رمز الإجرام الميداني البشع، والذي اختزل عروبة العراق في سلوك حاقد، قلت فيه علامات المروءة والسماحة، حاقد متخلّف وعارٍ من القيم والمبادئ... ما يخاف معه الغيارى والمحبون للكرد أن يدفع أجيالهم الى شوفينية كردية مضادة، مفهومة على كل حال، ولكنها ضارة بهم وبالعراق، لأنها تعني تعطيل المشتركات الرحبة والعميقة بينهم وبين عرب العراق والعرب عموماً، وكلهم ذاقوا من جور صدام وإجرامه ما ذاقوا.

ومن أجل تلافي هذا المصير، يصبح حتماً على العرب، بعض العرب من شعوب ودول، أن يكفوا عن استعلائهم على الكرد ونسيانهم وعدم تذكرهم إلا عند الرغبة بالشك فيهم، بحيث تذهب الى كردستان متوقعاً أن ترى الموساد في كل شيء، فلا ترى، تنتبه الى أن البيت العربي من زجاج... وأن يكفوا، أي العرب، بعض العرب عن تمجيد صدام حسين ورفع صوره وكأنه بطل قومي حقيقي، وكأن الكويت من بلاد يأجوج ومأجوج!

وهو الذي لم يترك للعروبة جنباً ولا خاصرة ولا قلباً ولا رأساً ولا روحاً ولا أمساً ولا غداً، من دون جراح وتشويهات وأعطال دائمة.

ويتذكر الجميع خطابات التمجيد والتظاهرات التي رفعت صور صدام حسين على أنه شهيد العروبة المطعونة والمنتهكة وشهيد الإسلام الذي وضع في البداية في مواجهة المشروع القومي ووضع القوميون القومية في مواجهته، وأكل كل منهما ما أكل من الآخر، حتى تآكلوا وتآكلنا وأكلنا... ليعود هذا الإسلام السياسي المسكون بالتطرف، وبعد الانكشاف في الحركة القومية، ليحمل ويحملنا شعارات وموبقات صدام حسين!

علي حسن المجيد، شبه الأمي، الزاحف على بطننا وظهر العراق من عريف سائق شاحنة في الجيش العراقي الى وزير داخلية ووزير دفاع في مفاصل صعبة، وحاكم للكويت إبان احتلالها، وفاعل الأفاعيل فيها، والذي نزل الى الشارع إبان انتفاضة عام ١٩٩١ والتي لم ينج النظام منها سوى النجدة الأميركية ونخوة (شوارزكوف) واستخدم قدميه ومدفعيته في قتل الناس ودك المدن مع رفيقه سلطان هاشم أحمد، آخر وزير دفاع في عهد صدام، والذي استكمل مع صدام عملية تهميش الجيش العراقي بعدما أنجز تفريغه من كفاءاته وحوّله الى ذيل أو ملحق بالقوات الخاصة التي أسسها النظام وحصر الشأن العسكري فيها وأخلاها من أي معيار مهني أو أخلاقي، وأوكل أمرها كاملاً الى "قصي وعدي" يستخدمانها يومياً في عملية استقواء كل منهما على الآخر، والاستقواء المشترك بينهما على الجيش والحزب والشعب والأمة والدولة.

الى أن كان الاحتلال، وظهرت النتائج الفاضحة الفادحة، حيث كانت كفاءات الجيش في منازلها أو منافيها أو سجونها أو مقابرها... وقاصرون فارغون جمّاعون للمال الحرام في زمن الحروب، تركوا العراق، وبغداد خصوصاً، عارية، وبعدما اكتمل الاحتلال. عاد كثير منهم منخرطاً في صفوف القاعدة وسائر فصائل التكفير، ليحولوا المشروع العربي الى رديف للحشاشين الجدد الذين لا يوفرون أحداً، ويوقظون بسطاء الناس، بجرائمهم، على مكونات مذهبية، لم يكن من شأنها ولا مرة، أن تكون مؤثرة أو فاصلة بين مكونات الشعب العراقي، لولا الخطة الخبيثة لتدمير الاجتماع العراقي وإعاقة أو منع بناء الدولة التعددية الجامعة والقادرة.

حسناً هناك داع للإطالة لأن في الصدر كثيراً من المكبوت، ولن أطيل... وأعلن ندمي وتوبتي مما اقترفته واقترفه معي كثيرون من أهل الرأي والفكر والأخلاق من العرب... لقد كانت هناك ثغرة كردية في وعينا وفي أخلاقياتنا، صحيح أن بعضنا، كان يقول احتجاجه علناً ولكن نادراً، ويقوله همساً كثيراً. ولكن الجميع كانوا يمرون بـ "الأنفال وحلبجه"، وكأن المئة وثمانين ألفاً –منهم خمسة آلاف في "حلبجه" معظمهم من الأطفال، قد ماتوا بلدغة أفعى واحدة في خمس دقائق. وكأن الأربعة آلاف وخمسمئة قرية كردية وادعة وجميلة، سويت بالأرض، تختلف كلياً في مأساتها –لأن مرتكبيها منسوبون الى العروبة –عن مأساة أهلنا وأرضنا في فلسطين المنكوبة الآن، من تجريف البيارات الى التهجير والقتل والجدار العازل، والمفارقة أن إسرائيل تهود الأرض من دون الناس، أما علي حسن المجيد وزبانيته فقد كانوا يعملون على تعريب أرض كردستان وأهلها! ومن أجل ذلك اقتلعوا من بقي من أهل القرى على قيد الحياة من قراهم ومن الشمال عموماً، الى الجنوب، ومن جبال زاغروس الى صحارى الناصرية والبصرة في الجنوب، من القر الى الحر!

وما هذه العروبة التي يحولها الجهلاء الى برشامة لمنع الحمل أو الإبداع العربي في الفكر والسلوك؟

لا بد من أن نشهر عروبتنا صافية ومؤنسنة، حضارية غير نابذة، تكتمل بالآخر ويكتمل بها الآخر، وتتجاوز العرق الى الإيمان والثقافة والقيم... ونشجع الكرد على إشهار كرديتهم صافية أليفة مزينة بذاكرة نقية منظفة من نفايات صدام حسين وسمومه وارتكاباته.

لقد أقيمت الأحد الماضي، في "حلبجه"، احتفالية شعبية ابتهاجاً بالأحكام التي يمكن أن تشفي غليلاً، ولكنها لن تجدي في تعويض الخسائر، إلا إذا قررنا كردا وعربا، أن نتجاوزها معاً من دون أن ننساها... إن الاحتفالية لا تقول بأنه يمكن من خلال الأحكام أن تستعيد أحداً، وتقول إنه يمكن استعادة العراق عموماً وكردستان خصوصاً من أجل المستقبل المشترك وعلى أساسه، والذي هو وحده العلاج الشافي للذاكرة المقرحة.

على أنه لا بد من أن يكون هناك وعي وعمل على أساس أن العراق الذي نرجوه لا يمكن أن يصبح ناجزاً إلا إذا كانت وحدة العراق راسخة وناجزة، والوحدة الناجزة والدائمة، هي التي لا تلغي أحداً لمصلحة أحد، لأن الإلغاء في المحصلة وفي التجربة، ليس لمصلحة أحد أبداً، ومن يلغي الآخر الشريك، يلغي ذاته أولاً.

في آخر يوم من أيام أسبوع المدى الثقافي الذي كان أبرز فعالياته تكريم الجواهري شاعر العرب وإزالة الستار عن تمثاله في أكبر وأجمل حديقة كردية في أربيل وتسمية الأسبوع باسمه تمهيداً للاحتفاء لاحقاً بالشاعر الكردي العربي أحمد شوقي، ذهبنا صحبة الدكتور بطرس الآشوري الذي لا يتحدث إلا بالعربية الفصحى، فحادثنا الأساتذة والطلاب في كل شيء بعربية فصحى وعامية عراقية فيها نكهة مركبة من الفرات ودجلة والزاب. أما مساجد كردستان الفارهة –مسجد الخياط –والصغيرة المنمنمة في قرى القصب، فهي ترفع الآذان وتهلل وتكبر في الفرح والحزن بالعربية الفصحى ذاتها، أرجو أن يتنبه أهل العدل والعقل من العرب الى تصرفات منتظرة من شراذم عربية تحاول أن توحي بأن جريمة –الجنوسايد –الإبادة الجماعية، في حق الكرد هي موضع قبول عام عربي وعروبي!

إن تجوالاً هادئاً في يوم من ربيع كردستان، حيث النرجس وشقائق النعمان تحول الحقول الشاسعة على امتداد الطريق بين أربيل وشقلاوة وصلاح الدين والسليمانية، الى مزهريات... وحيث الأعراس الكردية بألوانها التي تحاكي ألوان الحقول، تقام في الهواء الطلق وعلى جانبي الطرق الطويلة طول بال الكرد على النهوض من ماضيهم الى حاضرهم وحاضرنا معهم.

هذا التجوال بدءاً من أربيل (هولير) بالكردية، جعلني أكف عن حلمي، قبل وصولي، بأن تكون كوردستان على صورة بغداد، لقد انتبهت الى أن بغداد المعنية هي التي في ذاكرتي وليس مشهد بغداد الآن، غير الاتجاه لأتمنى أن تكون بغداد غداً على صورة كردستان الآن مشهداً ووعداً، تعدداً ووحدة، أصالة ومعاصرة، كردية ممتزجة بمقدار من العروبة والعربية، يكفي لتنبيه العرب على دورهم الكردي وعلى أن كمالهم في الآخر الشريك.

أدهشتنا صورة الشراكة المعرفية والفنية والأدبية مرات عدة في أربيل عندما ألقى كبار الشعراء قصائدهم بالكردية والعربية فاستمتعنا مرة واستمتع المثقفون الكرد مرتين، وعندما ارتجل المسؤولون الكرد –خصوصاً عدنان المفتي رئيس مجلس النواب –كلمة الختام للمهرجان بعربية فصحى صحيحة ومن دون لحن سوى لحن الحزن المعتّق والفرح الموعود بعراق معافى.

خاطفو الجثث في العراق والجهاد

فيصل عبد الحسن
كاتب وصحافي - المغرب

وصلتني هذه الرسالة من صديق عراقي يقول فيها معرفا أحوال العراقي اليوم :

حينما تشعر بأنك تستحقّ الحياة.. ولكن لا أحد في هذه الدنيا يمنحكَ هذا الحق....فأنتَ عراقي

حينما تشعر أن إنسانيتك قد سُلبتْ منك.. وحياتُك وحياةُ أطفالك لم تعد تهم أحدا سواك.. فأنت عراقي

حينما تشعرُ بالمهانة لحظة تترك بيتك متوجهًا إلى أي كوكب في العالم.. خالٍ من الموت والدم والخراب.... فأنتَ عراقي.. حينما تحسُ انك عبارة عن تأريخ من الحروب والجروح والخيبات والموت والغياب.. وكلها تمشي معك على الأرض...فأنت عراقي.. حينما تكون صغيراً في السن وتملؤك أمراض الشيخوخة.... فأنت عراقي.. حينما تشعرُ إنكَ –وأطفالك –تدفعون ثمن أخطاءٍ وعجرفة وظلم الآخرين.. بلا ذنب أو سبب ...فأنت عراقي

حينما يحترمك الآخرون ويتعاطفون معك.. ولكنهم يعجزون غالباً عن الوقوف إلى جانبك.... فأنت عراقي...

وكل الذي كتبه لي صديقي حقيقي وواقعي مئة بالمائة ولكن الذي يشيب له الرأس حقا ما يدعيه البعض من أخواننا العرب الذين تركوا بلدانهم ليؤدوا فريضة الجهاد على حساب العراقيين ويحولوا البلاد إلى خراب ويتحولون من مجاهدين إلى عصابات قطاع طرق حقيقيين ، وعصابات خطف وأعمال يندى لها جبين الإنسان الحر وكل ما جاء في رسالة صديقي من معاناة له علاقة وطيدة بمدعي الجهاد في العراق من الوافدين العرب وأرجو أن نعرف ما دار ويدور من أحوال هذه العصابات المجاهدة في سبيل المال الحرام لا في سبيل الله كما يزعمون فهم قد قسموا أنفسهم إلى جماعات تنفذ التفجيرات في الأسواق والساحات العامة المزدحمة بالعراقيين وقسم آخر منهم يجردون ضحايا التفجيرات من الأوراق الثبوتية والهواتف للحصول على ؟فدية؟ وهؤلاء يسميهم العراقيون ب؟خاطفي الجثث؟ فهم يستغلون التفجيرات ويضاعفون عبء الكارثة على العراقيين. نعم هؤلاء لا ينفذون عمليات القتل لكنهم يرحبون بها، وما أدراك فربما هم جزء من الجماعة الأولى المنفذة للتفجير فهم يسرعون إلى الأماكن التي تحدث فيها الانفجارات، قبل سيارات الإسعاف، يجمعون اكبر عدد ممكن من ؟جثث الضحايا؟ ليجردوها من كل ما تحمل من مقتنيات خاصة. الأوراق الثبوتية والهواتف النقالة. أنهم ؟خاطفو جثث؟ من الطراز الأول يتصلون بأهل القتيل مدعين انه لديهم وما زال حياً ويطالبون بمبالغ كبيرة وبعدها يسلمون المخطوف (القتيل) جثة إلى ذويه؟. تقول ؟أم حارث؟ من منطقة الكرادة، وسط بغداد، وقد فقدت ولديها قبل أيام لوسائل الإعلام ؟في ١٨ شباط (فبراير) الماضي.. خرج حارث وهمام إلى الشارع ولم يرجعا، بحثنا عنهما في كل مكان عند الأقرباء والأصدقاء ومراكز الشرطة وحتى المستشفيات ولم نجد لهما أثرا، وبعد يومين اتصل بنا شخص من هاتف ولدي همام ادعى بأنه وأخوه على قيد الحياة وهما موجودان لديه وطلب ٤٠ ألف دولار لإطلاقهما؟. وتعرض آلاف العراقيين لعمليات خطف أطلق عدد ضئيل منهم بعد دفع فدية مالية، فيما عكفت ميليشيات ومسلحون على قتل المخطوفين حتى بعد الحصول على الفدية. تقول الأم المنكوبة: ؟اضطررنا إلى بيع منزلنا واستطعنا جمع ٣٠ ألف دولار فقط وبشق الأنفس وافق الخاطفون على هذا المبلغ؟. كان الاتفاق أن تقف أم حارث وحدها في تقاطع الحرية وسط الكرادة وان ترمي المبلغ في سيارة ؟سوبر؟ من دون أرقام. وتضيف: ؟بعد أن رميت المبلغ داخل السيارة سلمني الخاطفون ورقة مكتوب عليها تسلمي ولديك من الطب العدلي.

وتبين بعد ذلك أن حارث وهمام قتلا بانفجار الكرادة في شباط (فبراير) الماضي؟. وتؤكد مصادر في وزارة الداخلية العراقية، أن نسبة كبيرة من الجثث التي يعثر عليها أفراد الشرطة في شوارع بغداد تكون مجردة من الهويات الشخصية والهواتف النقالة لذا تعتبر مجهولة. وتؤكد تقارير الأمم المتحدة انه تم العثور على ما بين ٦٠ أو ٧٠ جثة يومياً خلال عام ٢٠٠٦ لكن وزارة الداخلية العراقية أكدت أن المعدل اليومي للجثث المجهولة تراجع. وعثر خلال النصف الأخير من الشهر الماضي على نحو ٥٠ جثة في شوارع بغداد قتل معظم أصحابها بطلق ناري. حالة أخرى مشابهة يرويها أبو هاشم لفضائية عربية أنه وضع ٥ ملايين دينار(أربعة آلاف دولار) مقابل جثة ابنته رباب (٢٢ عاما)، ويتابع قائلا: ؟علمت أن ابنتي قتلت بانفجار سيارة مفخخة في البياع ولم أعثر على جثتها. تبين في ما بعد أن مجموعة من الأشخاص خطفوا جثتها وطلبوا مني ٥ ملايين دينار كي أحصل عليها؟. ولكل تجارة كما معروف سوقها فقد تم افتتاح أسواق مريبة في بعض المناطق في بغداد ويباع فيها ما يسمى ب ؟سلع الموتى؟ وهي السلع التي تسرق من قتلى الانفجارات والاغتيالات وتباع بأسعار زهيدة جداً. أن طلب الآخرة على حساب دموع الناس وألأمهم ورعبهم في العراق لن يرضي الله تعالى،وما سمعنا بطول التأريخ وعرضه انحدارا كهذا الانحدار في فهم شروط فقه الجهاد والتزاماته.

الانثروبولوجيا السياسية في العراق

سعدون محسن ضمد
باحث

لا أعتقد بأن هناك بلداً يمثل ميداناً مناسباً لدراسات الانثروبولوجيا السياسية أكثر من العراق.. حيث تختلط فيه أنظمة متعددة للحكم وتتقاسم التأثير على القرار السياسي فيه أنساق المجتمع المختلفة. ويمكن اعتباره من هذه الجهة نموذجاً واضحاً يحكي تاريخ تطور النظام السياسي الإنساني. حيث تتجسد فيه كل المراحل التي مر بها هذا النظام على مر التاريخ. بدأ من سلطة الأب (القديم) في أشكال التجمع البدائية الأولى، وانتهاء بسلطة (الأب) العولمي الجديد المتمثل بالسيادة الأميركية على العالم الحالي.

في العراق الآن توجد قرى مستقلة تحكم نفسها وفق نظام (عشائري/ ديني) بموازاة هذه القرى دولة ديمقراطية تحاول أن تبني مؤسساتها بشكل حديث. وبين هذين التناقضين توجد نماذج كثيرة من السلطات المنتشرة هنا وهناك.

ليس من السهل على الباحث في الانثروبولجيا السياسية أن يجد بيئة مناسبة لبحوثه واهتماماته، خاصة مع تطور المجتمعات وتعقد النظم السياسية، الأمر الذي يجعل من أمر الحصول على بيئة تتفاعل فيها أشكال السلطة البدائية أمراً مستحيلاً. لكن في العراق اليوم توجد مثل هذه السلطات، لكن ما لا يوجد في العراق هم الباحثين المختصين بهذا الشأن، أو ممن يثيرهم هذا الشأن. فمع تعقد المأساة العرقية تزداد الحاجة لباحثين مهتمين بتفكيك مختلف أوجه وتلاوين هذه الأزمة، لكن بقاء نزف العراق مستمراً بمرأى من الأطباء العراقيين أمر يثير الحفيظة والقلق.

وبالعودة لتوفر مادة الدراسة الانثروبولوجية نستطيع أن نجد مثلاً أنواع القيادات التي ظهرت في العراق، فقد ظهرت لدينا قيادات وزعامات لا تنتمي لهذا العصر أبداً، الزرقاوي مثلاً نموذج لسلطة لا يمكن تعريفها بسهولة، فجسد الجماعة التي أمسك بزمامها ليس دينياً تماماً، ولا هو سياسي، ولا عرقي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا نستطيع أن نقول عن سلطة الزرقاوي التي استطاع من خلالها أن يهيمن على جماعته، أنها سلطة دينية ولا هي عشائرية تماماً، وهذا ما يجعل منها نموذجاً مناسباً لبحث في الانثروبولوجيا السياسية.

اللافت للنظر في البيئة السياسية العراقية الحالية (المتنوعة والمتناقضة مع نفسها)، أنها تحتفظ بجامع مشترك تربط من خلاله متناقضاتها، هذا الرابط هو الفوضى والارتجال، فليس هناك ولا جهة واحدة استطاعت أن تمد خطاً من التنظيم والستراتيجية تلظم به خرز أدائها منذ ٢٠٠٣ وحتى الآن، والمضحك في الأمر أن الأحزاب الدينية تحولت للأداء العلماني والعكس صحيح أي أن الأحزاب العلمانية جربت حظها بالأداء الديني في محاولات من قبل الجهتين لتنويع العزف وراء نجاحات غير مرصودة ولا مخطط لها، وهذا الأمر بحد ذاته كفيل بأن يثير شهية البحث الانثروبولوجي السياسي لو كانت هناك شهية علمية حقيقية في العراق. فليس من المعقول أن يتكئ رئيس حزب علماني يفترض باجندته أنها مكرسة للخروج بالمجتمع من سلطة الديني، ليس من المعقول أنه يتكئ على الزعامة الدينية في الدعوة لأجندته، ومن جهة أخرى ليس من المعقول أن تحتضن الآيديولوجية الدينية أفكاراً وطروحات وسلوكيات وتطبيقات تتجاوز بها ما ورد حتى على أحلام الآيديولوجيات المناقضة لها.

هناك رابط آخر بين متناقضات الأزمة يتعلق أيضاً بأبحاث الانثروبولوجيا السياسية، هو النسق القرابي العشائري، هذا المهيمن (الصاعد) على المشهد العراقي، والذي يمكن أن نجد نموذجه الصارخ بجميع مفاصل الدولة العراقية الحالية، بدأ بوزارات الدولة التي تحولت لإقطاعات عشائرية وانتهاء بالدويلات الإسلامية العشائرية التي تظهر وتختفي هنا وهناك، بمختلف محافظات العراق.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار مفهوم (القرابة السياسية) الذي أسس له الباحث العراقي علاء حميد في مقالة له نُشرت بجريدة الصباح والذي اعتبر فيه أن العلاقات الحزبية بدأت تنزع نزوعاً قرابياً، لعرفنا بأن ضموراً بالمؤسسة الحزبية بدأ يظهر في ساحة العراق لصالح عافية المؤسسة العشائرية التي أخذت تزحف من حول بغداد باتجاه مركزها.

هذه المؤشرات وكثيرة غيرها تشير بوضوح إلى أننا على تخوم عصر قروي عراقي جديد.

في العراق أيضاً توجد ظاهرة تستحق التأمل والتوقف والاندهاش، وهي ظاهرة استدعاء الدولة لسلطة العشيرة لتنقذها من مأزق الجماعات المسلحة، فهذا الاستدعاء لا يتناسب والبنية الاجتماعية/ السياسية التي يفترض بهذه الدولة أنها بصدد بنائها، فمؤسسات الدولة الحديثة وباعتبارها بيئة عمل التكنوقراط، تتقاطع مع النظام القرابي الذي تقوم عليه بنية العشيرة والذي هو بيئة لا تعتمد الكفاءة في تقسيم العمل بل القرابة، وعندما تعمد الدولة لتقوية سلطة العشيرة فهذا يعني أو يؤدي إلى تقوية نسق القرابة داخل بنية الدولة، وهو أمر كفيل بشل عملية البناء المؤسساتي الديمقراطي المتصاعد الذي نحن بحاجة إليه.

إن بلوغ الإفلاس بالكادر السياسي الماسك بزمام الأمور حد الاعتماد على سلطة العشيرة يكشف عن خلوا مشروعنا السياسي من أي ستراتيجية تتناسب وتعقدات أزمتنا وتلبي حاجاتنا الحالية والمستقبلية. كما أنه يكشف أيضاً عن تراجع الثقافة الحضرية لحساب الريفية، أي تقهقر المجتمع من كونه مجتمع دولة لكونه مجتمع ما قبل الدولة.

ومع ذلك تبقى ألقاب أقطاب السياسة العراقية تشي بمقدار العشائرية التي تركب صهوة السياسة العراقية لكن ومع الأخذ بنظر الاعتبار كل المفردات السابقة هل نستطيع القول بأن العراق مقسم لإقاليم سياسية وأن لكل أقليم منها طابعاً أو نسقاً سياسياً يختلف عن الأقاليم الأخرى؟